من تراب الطريق

(٣٩٩) شهوة الكلام ! (*)

شهوة الكلام التى أعنيها ، ليست نصائح ومواعظ الدعاة ورجال الدين ، وليست كلمات الأدباء والمفكرين ، وليست مرافعات المحامين الشفوية والمكتوبة ، وإنما أعنى شهوة الكلام واللت والعجن فى غير موضعه .. قد نرى هذا كثيرًا فى دنيا السياسة ، وفى الخطب البرلمانية ، ولكن أستاذنا يحيى حقى ـ وهو أستاذنا فعلًا لا تجبيا ، فهو حقوقى دفعه المرحوم أبى والأستاذ توفيق الحكيم الذين تخرجوا معًا دفعة ١٩٢٥ من مدرسة الحقوق الملكية حسب مسمّاها فى ذلك الزمان ، قبل أن تتحول إلى حقوق القاهرة ، ثم يتسلم مبناها المواجه لمديرية أمن الجيزة الآن قسم الجغرافيا لكلية الآداب بجامعة القاهرة ، قبل أن يستولى عليه الحزب الوطنى حيث يقبع مختالًا فى المبنى العريق الذى يرجع لمائة عام مضت ، ولا زلت أحتفظ بصورة أبى رحمه الله مع دفعته وأساتذتهم والعميد على سلم المبنى إبان أن كان لكلية الحقوق تحت مسمى مدرسة الحقوق الملكية !

أعود إلى يحيى حقى الذى يربطنى عشقى لشخصيته وأدبه ، قبل زمالته وأبى التى ذَكّرته بهٖ يوم لقيته من أربعين عاما فى فندق شبرد

(*) المال ٣/ ٢/ ٢٠١٠

مع المرحومة سميحة غالب والأستاذ الروائى محمد الحديدى ، ليوافق لى على كتابة سيناريو وحوار لإحدى قصصه القصيرة لتجسيدها دراميا ومناقشتها فى برنامج «قصة قصيرة» الذى كانت سميحة غالب تقدمه للتليفزيون المصرى .. وهى بالمناسبة زوجة الصديق المرحوم الشاعر صلاح عبد الصبور وأم وحيدتيه : مى ومعتزة .

فى مجموعة «من باب العشم» ، يورد يحيى حقى مقالا طريفا نشر بجريدة التعاون بعددها ٤١٦ فى ٧/ ٢/ ١٩٧١ .. وبالمناسبة ، شىء لافت فى الأستاذ يحيى حقى أنه كان راضيًا بقليله رغم المكانة السامقة التى يحتلها بين جيل الرواد ، وفى وزارة الثقافة ، ورئاسته لتحرير مجلة المجلة التى فتح فيها أحضانه للعمالقة وللشباب أيضا من أصحاب المواهب ، ومع ذلك لم يلح بمقالاته النفيسة على الصحف والمجلات الكبرى ، فنرى معظمها منشورًا إما فى جريدة المساء محدودة التوزيع ، أو فى التعاون التى ربما جَهَلَ كثيرٌ من القراء أمرها ! .. المقالة التى أعنيها كانت بعنوان : «واندلعت شهوة الكلام» .. يروى فيها يحيى حقى شهوة الكلام الجارفة ، عمّال على بطّال ، فى أبواب فتحتها الصحف تحت عناوين مختلفة لتلقى أسئلة ومشاكل واستفسارات القراء والإجابة عليها .. ومع أن الفكرة تبدو نبيلة ، إلاّ أنها فتحت أبوابًا على مصاريعها لكل من هب ودب ، من الأصحاء والمرضى ، والشيوخ والصبية ، والعجائز وبنات المدارس الابتدائية ، وصنوف وأعداد لا حصر لها من الزبائن . يلجأ كل منهم صادقًا أو مواريًا أو ممثلًا أو مصطنعًا حرفة

الأدب ، إلى باب اسألونى أو جراح القلوب أو أنت تسأل وأنا أجيب .. بكلام معظمه لا يتعدى «طق حنك» ! ..الغريب أن يعرض أو تعرض صاحب أو صاحبة المشكلة القلبية لأخص الأسرار الشخصية جدًا ، مع تعرية النفس بلا حدود ، ثم يقوى أو تقوى على طول الانتظار حتى يأتى دور الرسالة ضمن أكوام الرسائل التى ترسل إلى باب القلوب ، فتأتى الحلول والنصائح «الغالية» : التى فى معظمها هى الأخرى طق كلام ـ فيما عدا القليل ومنه باب اسألونى الذى استثناه الأستاذ يحيى حقى ، وكانت تقدمه الأستاذة أمينة السعيد .. لا يخفى يحيى حقى أنه رغم اعتراضه كان مدمنا على قراءة هذه الأبواب ، ولا يملك القارئ المتابع إلاّ أن يتعجب من كثير من الصور الدميمة أو ما يشبه اللوثة العقلية التى تشم رائحتها فى كثير من هذه الرسائل .. وقد ترى من ضمن السائلين «مجنون أدب» أو «مهووس» بكتابة القصة ـ لا يجد مجالًا لنشر إنتاجه ، فيتحايل على نشره بهذا الأسلوب فى شكل رسائل مصوغة إلى هذا الباب أو ذاك ، وينتظر الشهور الطوال ـ وقد لا يفلح ـ ليرى رسالته ، أى قصته ، منشورة فوق الحروف الأولى لاسمه الذى أعيته السبل فى الوصول به إلى عيون الناس !

أكثر هذه الرسائل ، ولا تزال للآن ، تلفيق فى تلفيق ، تتلذذ بعرض النفس من المهد إلى اللحد (؟!) ، وتتجه بأسئلة لا تليق ، وعن سلوك لا يليق أو مفضوح وشائن يستوجب اللوم والتقريع ، ومع ذلك فما كنت تراه قديما من إجابات حكيمة متفطنة كما كانت تفعل الأستاذة أمينة السعيد ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ لم تعد تراه الآن ، وترى بعض

الصحف والمجلات تعهد بهذه الأبواب من باب المجاملة إلى من يحتاج أو تحتاج إلى التفطن والفهم للحياة والناس .. ومع ذلك يستعير أو تستعير دورالنطاسى البارع الذى يدرس ويتمعن ويسبر الأغوار ويستطلع خفايا النفوس ليكشف ما يعز كشفه إلاّ على المتخصصين جدًا من علماء النفس والاجتماع !.. لتتحول العملية كلها إلى « فراغة « ممزوجة بالتفاهة وشهوة التعرى أمام الناس مع اندلاع شهوة الكلام بلا معنى ولا طهى !

ما هو ضمان صواب رؤية ونصيحة جراح القلوب الذى يحتاج أصلا إلى مِشورة وربما إلى عَلاَم ؟!.. هل تذكرون الفيلم الكوميدى عن جراح القلوب لعبد السلام النابلسى ونادية لطفى ؟!.. أليست هذه الكوميديا تجسيدًا واقعيًا للحال «المايل» فى هذه الأبواب التى تأتى بغثائها على كل القيم ، وتأخذ من العقل بسطحية أو جنوح ما تنشره لتفسح المجال للتفاهات الضريرة ؟!!

فماذا إذا عَزَّ القضاء على شهوة الكلام المتغلغلة فى الأعماق ، ورفضت الصحف أن تتخلى عن تدبيج هذه الأبواب التى تجذب القراء وترفع نسبة التوزيع .. أليس أجدى للعقل أن تحول أبواب «جـراحة القلوب» وأشباهها إلى أبواب «لآراء القراء» تنشر فيها تعليقاتهم على موضوعات تتخيرها الجريدة مسبقًا وتستطلع آراء وأفكار القراء .. أليس هذا أجدى لتقدم العقل بدلا من «فـ اغة» الكلام ؟!!!

*****